

روح المعاني

الراغب أن أصل الجنب الجارحة ثم يستعار في الناحية التي تليها كعادتهم في إستعارة سائر الجوارح لذلك نحو اليمين والشمال و المضاجع جمع المضجع أماكن الإتكاء للنوم أي تنتحي وترتفع جنوبهم عن مواضع النوم وهذا كناية عن تركهم النوم ومثله قول عبداً بن رواحة يصف النبي صلى الله عليه وسلم :

نبي تجافى جنبه عن فراشه إذا أستثقلت بالمشركين المضاجع والمشهور أن المراد بذلك التجافي القيام لصلاة النوافل بالليل وهو قول الحسن ومجاهد ومالك والأوزاعي وغيرهم وفي الأخبار الصحيحة ما يشهد له أخرج أحمد والترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه ومحمد بن نصر في كتاب الصلاة وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان عن معاذ بن جبل قال : كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فأصبحت يوماً قريباً منه ونحن نسير فقلت : يا نبي الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار قال : لقد سألت عن عظيم وأنه يسير على من يسره الله تعالى عليه تعبداً ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال : ألا أدلك على أبواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة وصلاة الرجل في جوف الليل ثم قرأ تتجافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ يعملون الحديث .

وقال أبو الدرداء وقتادة والضحاك هو أن يصلي الرجل العشاء والصبح في جماعة وعن الحسن وعطاء هو أن لا ينام الرجل حتى يصلي العشاء أخرج الترمذي وصححه وابن جرير وغيرهما عن أنس قال : إن هذه الآية تتجافى جنوبهم عن المضاجع نزلت في إنتظار الصلاة التي تدعى العتمة وفي رواية أخرى عنه أنه قال فيها نزلت فينا معاشر الأنصار كنا نصلي المغرب فلا نرجع إلى رجالنا حتى نصلي العشاء مع النبي صلى الله عليه وسلم وقيل : هو أن يصلي الرجل المغرب ويصلي بعدها إلى العشاء فقد أخرج عبداً ابن أحمد في زوائد الزهد وابن عدي وابن مردويه عن مالك بن دينار قال : سألت أنس بن مالك عن هذه الآية تتجافى جنوبهم عن المضاجع قال : كان قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين الأولين يصلون المغرب يصلون بعدها إلى عشاء الآخرة فنزلت هذه الآية فيهم وقال قتادة وعكرمة : هو أن يصلي الرجل ما بين المغرب والعشاء وأستدل له بما أخرجه محمد بن نصر عن عبداً بن عيسى قال : كان ناس من الأنصار يصلون ما بين المغرب والعشاء فنزلت فيهم تتجافى جنوبهم عن المضاجع .

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في الآية : تتجافى جنوبهم لذكر

اﻟﻠﻪ ﺗﻌﺎﻟﻰ ﻛﻠﻤﺎ ﺃﺳﺘﻴﻘﻄﻮﺍ ﺫﻛﺮﻭﺍ ﺍﻟﻌﺰﻭﺝ ﻓﻲ ﺍﻟﺼﻼﺓ ﻭﺍﻣﺎ ﻓﻲ ﻗﻴﺎﻡ ﺃﻭ ﻗﻌﻮﺩ ﺃﻭ ﻋﻠﻰ ﺟﻨﻮﺑﻬﻢ ﻻ ﻳﺰﺍﻟﻮﻥ ﻳﺬﻛﺮﻭﻥ ﺍﻟﻠﻪ ﺗﻌﺎﻟﻰ ﻭﺭﻭﻯ ﻧﺤﻮﻩ ﻫﻮ ﻭﻣﺤﻤﺪ ﺑﻦ ﻧﺺﺭ ﻋﻦ ﺍﻟﺰﻫﺎﻙ ﻭﺍﻟﺠﻤﻬﻮﺭ ﻋﻮﻟﻮﺍ ﻋﻠﻰ ﻣﺎ ﻫﻮ ﺍﻟﻤﺸﻬﻮﺭ ﻭﻓﻲ ﻓﻀﻞ ﺍﻟﺘﻬﺠﺪ ﻣﺎ ﻻ ﻳﺤﺼﻰ ﻣﻦ ﺍﻟﺄﺧﺒﺎﺭ ﻭﺃﻓﻀﻠﻪ ﻋﻠﻰ ﻣﺎ ﻧﺺ ﻋﻠﻴﻪ ﻏﻴﺮ ﻭﺍﺣﺪ ﻣﺎ ﻛﺎﻥ ﻓﻲ ﺍﻟﺄﺳﺤﺎﺭ .

ﻳﺪﻋﻮﻥ ﺭﺑﻬﻢ ﺣﺎﻝ ﻣﻦ ﺿﻤﻴﺮ ﺟﻨﻮﺑﻬﻢ ﻭﻗﺪ ﺃﺿﻴﻒ ﺇﻟﻴﻪ ﻣﺎ ﻫﻮ ﺟﺰﺀ ﻭﺟﻮﺯ ﻋﻠﻰ ﺇﺣﺘﻤﺎﻝ ﻛﻮﻥ ﺟﻤﻠﺔ ﺗﺘﺠﺎﻓﻰ ﺇﻟﺦ ﺣﺎﻟﻴﺔ ﺃﻥ ﺗﻜﻮﻥ ﺣﺎﻻ ﺛﺎﻧﻴﺔ ﻣﻤﺎ ﺟﻌﻠﺖ ﺗﻠﻚ ﺣﺎﻻ ﻣﻨﻪ ﻭﻋﻠﻰ ﺇﺣﺘﻤﺎﻝ ﻛﻮﻧﻬﺎ ﺧﺒﺮﺍ ﺛﺎﻧﻴﺎ ﻟﻠﻤﺒﺘﺪﺃ ﺃﻥ ﺗﻜﻮﻥ ﺧﺒﺮﺍ ﺛﺎﻟﺜﺎ ﻭﺟﻮﺯ ﻛﻮﻧﻬﺎ ﻣﺴﺘﺄﻧﻔﺔ ﻭﺍﻟﻈﺎﻫﺮ ﺃﻥ ﺍﻟﻤﺮﺍﺩ ﺑﺪﻋﺎﺋﻬﻢ ﺭﺑﻬﻢ ﺳﺒﺤﺎﻧﻪ ﺍﻟﻤﻌﻨﻰ ﺍﻟﻤﺘﺒﺎﺩﺭ ﻭﻗﻴﻞ : ﺍﻟﻤﺮﺍﺩ ﺑﻪ ﺍﻟﺼﻼﺓ ﺧﻮﻓﺎ ﺃﻱ ﺧﺎﺋﻔﻴﻦ ﻣﻦ ﺳﺨﻄﻪ ﺗﻌﺎﻟﻰ ﻭﻋﺬﺍﺑﻪ ﻋﺰﻭﺝ ﻭﻋﺪﻡ ﻗﺒﻮﻝ ﻋﺒﺎﺩﺗﻬﻢ ﻭﻃﻤﻌﺎ